**محاضرة رقم (2): بيان موت الكورس (قاسم حداد، أمين صالح)**

1. **مفهوم البيان:**

لعله من الواجب قبل الشروع في تحليل بيان موت الكورس أن نتوقف عند مفهوم البيان على اعتبار انه العتبة الأولى التي تقع عليها عين القارئ، بالإضافة إلى أن مصطلح البيان عهده المتلقي ضمن الخطابات السياسية كما أتربط استخدامه بتاريخ الخطابات التي تلي الانقلابات العسكرية أو الثورات التي تقودها الجيوش.

مما لا شك فيه أن البيان في مجال الأدب قد حافظ على بعض السمات الأجناسية والطاقة التفسيرية التي علقت به في المجال السياسي، فهو خطاب يرد في المقام الثاني بعد الفعل، سواء تعلق الأمر بالسياسة أو بالأدب، ويأتي كتبرير للخطوة التي أقدم عليها صاحب المشروع بالقوة تحديا للسلطة السياسية أو الأدبية المهيمنة على الثقافة والذوق العام، ومصطلح البيان في المعاجم هو الإيضاح للشيء، وتشير المعاجم الأجنبية انه مصطلح ظهر في ايطاليا "manifesto" ودل في أول الأمر على تصريح مكتوب تبرر فيه الشخصية أو الجماعة السياسية أفعالها، أو تعرض برنامجها ومع الوقت اتسع مفهوم اللفظة فبات يشمل تصريحات الجماعات والأفراد الذين يعلنون عن مواقف تعبر عن نظرة جديدة سواء في الثقافة أو الأدب أو الفن، ولكن على عكس البيان السياسي الذي يظهر صريحا يظهر البيان في الأدب متخفيا ، فلا يتسنى التعرف إليه إلا من خلال خطابه.

انتشر استعمال البيان في الآداب العالمية بشكل واسع وفرض نفسه في الحياة الأدبية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث بات من الوسائل الضرورية التي يلجا إليها الكتاب بغية توضيح نشاطهم الفني لجمهور المتلقي لعل من أبرزها بيان الرمزية 1986م، وبيان دادا لطزارا 1915م، وبيان السريالية لبريتون 1924م، ومن أهم البيانات العربية نذكر مقدمة رواية "تلك الرائحة " لـ"صنع الله إبراهيم" أين أعلن الكاتب تمرده على التقاليد المتبعة في كتابة الرواية، و"نبيل سليمان" أيضا، وبيان الكتابة لـ"محمد بنيس"، وبيان الحداثة للشاعر السوري " أدونيس"، وبيان موت الكورس "لامين صالح" و" قاسم حداد" الذي صدر في مناسبات متفرقة، ثم جمعه وقدم له "محمد لطفي اليوسفي" في كتابه " البيانات".

إن عنوان " موت الكورس" يحمل نوعا من التوتر والدهشة في ذهن القارئ الذي لم يألف مثل هذه العناوين، فكلمة الموت تحيلنا على النهاية والزوال، فعن أي موت وزوال يتحدث "قاسم حداد " و "أمين صالح" في بيانهما؟

إن موت الكورس يعني موت الجماعة، أو زوال المجموعة (هو موت للجوقة الذي يعني موت المدرسة التقليدية في الأدب) ففيه إعلان عن موت تيار وولادة تيار جديد في الأدب، فكان البيان يحمل معنى النعي والرثاء لهذا الميت ويشير بميلاد جديد، أنها الثورة على الموروث وتقاليد الجماعة الراسخة في الأذهان، وكأنهما يقصدان أن التمرد والثورة حياة وتجدد بينما في التقليد موت واندثار وجمود، فبين الحركة والجمود التقليد والتجديد حدد الشعراء المحدثون طريقة جديدة في الكتابة والإبداع تنبني أساسا على دحض القديم ورفضه والدعوة إلى الحرية في الإبداع، قوامها التفرد والاختلاف.

إن الفنان المعاصر يحسّ بالضيق من القوانين التي يفرضها عليه النظام الشائع المشترك ولهذا يزداد تلهفه للحرية وإلحاحه عليها، حتى وان كلفه ذلك تحطيم الواقع وإعادة النظر في كل المقدسات والانفصال عن التراث بجميع هياكله «لذلك راح يخلق لنفسه عالما جديدا من خياله ويبدع بالكلمة الشاعرة وحدها مملكة غير واقعية، مملكة تعلن العداء على كل ماهو مألوف وتناقض كل ما كان يفوح برائحة الثبات والاطمئنان».

يلاحظ بوضوح سعي المؤلفين إلى بلورة مشروع أدبي جديد يقوم على أنقاض التجربة القديمة، والمقصود بالتجربة القديمة ما يوصف لدى العديد من النقاد بالأدب التقليدي، وهو جل التراث الأدبي الممتد من منتصف القرن العشرين، رجوعا إلى تأسيس لحظات التأسيس الأولى في الجاهلية وهو ما سماه صاحبا البيان " النص الأول"، فيبدوا جليا أن المشروع هو بناء نص أدبي جديد بأدوات جديدة وطرق تعبي مغايرة للسائد والمألوف، فيعلن "قاسم حداد" و" أمين صالح" بأنهما «ضد النص الأول هذا هو الهاجس المتأجج في التجربة الطالعة، ليس النص الأول نموذجا ولا سطوة له على المخيلة إن لم تستطع هذه المخيلة أن تبدع نصوصها الجديدة بشروط جديدة، فمن الأجدر لها أن تنتحر إذ لا رغبة لدينا في إعادة بناء النص الأول أو التنويع على شكلانيته وجاهزيته» أنها ثورة على المعتاد والجاهزية والعبودية ودعوة إلى الكسر والهدم والبناء من جديد وهو ما قام به عيد الشعراء كـ" نزار قباني" و"نازك الملائكة" و "أمل دنقل" و " صلاح عبد البور" وغيرهم.

من هنا نفهم بأنه لا يمكن تحقيق فرادة الكاتب والمبدع إلا إذا تمرد على الواقع وبالتالي ينتج «شيئا ليس وثنا مرشحا للتحول والتجدد وحتى الهدم، لا نحاكي أحدا لكنننا في العراء عرضة لرياح التجارب والإبداعات نتأثر بها ونتفاعل معها» ينطلق الشاعر في تجربته من الواقع لكنه لا يحاكيه بل يسعى إلى تحطيمه وتجاوزه وفي ذلك يقول "أمين صالح" :«نستمد مصادرنا من الواقع لكننا لا نحاكيه فما نراه لا يمثل حقيقة الواقع بل صورة مصغرة غامضة غالبا ما تكون زائفة ومشوهة... إننا نحاول الوصول إلى المستتر والخفي بأدوات الحلم والمخيلة».

1. **محتويات بيان موت الكورس:**

ومن خلال الاطلاع على بيان موت الكورس يمكن أن نقول ما يلي:

* اختيار أدوات الحلم والمخييلة لأن الشاعر يخوض غمار التجربة الإبداعية بعيدا عن الواقع الذي يرى انه لا يقدم له سوى صورة زائفة ومشوهة.
* اقتحام المجهول واللانهائي لان الإبداع امتداد.
* تغيير مفهوم الأدب ومهمته بمعنى الدعوة إلى كتابة الواقع بمنظور مختلف عن المدارس السابقة.
* الدعوة إلى الفوضى والغموض لأنها لا تمثل قاعدة الكتابة في العصور الماضية.
* تغيير صورة الأديب فالبيان يرسم ملامح المبدع المنخرط في هذه التجربة الجديدة وهي صورة الثائر المتحدي للقيود الأخلاقية والسياسية والثقافية القائمة، فالكاتب ليس عبدا للأشكال القديمة بل خالقا وخائنا لها في آن «جئنا لنلهو بالأشكال نبتكر شكلا لنحطمه في اليوم التالي، نسعى إلى شكل يكون بديلا أو عدوا لما سبق ابتكاره».
* التجريب بذرة الإبداع، نقدرُ أن نكتب تجربتنا بشروطنا وعناصرنا الذاتية.
* الوقوف ضد القارئ الذي يبحث عن الحلول والتفسير والثورة في كتاب لينام رائق الذهن على سرير مريح، فالبيان يريد من القارئ أن يكون طفلا يسبح في فضاء لا نهائي من الأسئلة، ويستهجن القارئ المستهلك، يقول:«لا يعنينا القارئ الذي مثل الأعمى يسألنا بعد كل خطوة عن المعنى والمغزى هذا القارئ سنأخذه برفق وفي صمت إلى أقرب مأوى للعجزة» إنهم يريدون القارئ الذي يستجوب العالم ويستنطق الأشياء انطلاقا من الصورة التي تقدم إليهم تماما مثل الطفل الذي يمر بمرحلة الأسئلة، فلا يبرح برهة دون سؤال ماهذا؟ ومن أين هذا؟ وكيف هذا؟
* الجدير بالذكر أن بيان موت الكورس يحمل ميتات عديدة على رأسها مفهومي الشعر والقصيدة، فلا نجد لهما ذكرا في أي فقرة من فقراته وقد استعاض عنهما بمفهومي الكتابة والنص، ولعل مصطلح النص هو ما جنب البيان الخوض في سجال الشعر حول قصيدة النثر.

هكذا تضافرت محتويات البيان مع لغته الشديدة والمستفزة والمليئة بالسخرية والعنف ليشكل طريقة الكتابة التي عدها صاحبا البيان لعب ولهو يشترك فيها الفنان مع الطفل، أنها دعوة لكسر القيود والأغلال التي تطوق عنق المبدع بقبضة من حديد لعل ذلك يحقق التفرد والتجدد للإنسان المبدع ويساعده على ترك بصمته.